

اللون ملتقى البحور أو مجمع البحور ، غير أن هذه الحركة كان نصيبها الفشل الذريع ، لأنها كانت فيما أعتقد تطبيقاً خاطئاً لما تقرر من حاجة كل وثبة نفسية أو دفعة شعورية إلى التآزر مع الموسيقى الملائمة في وحدة هرمونية ، فالنفس حين تنتقل بين المشاهد المختلفة ، والأجواء المتباينة ، لا تنتقل بهذه السرعة المبالغتة دائماً ، وبهذا القفز المشوّه الملهوج ، إن الخواطر النفسية تتحول من الشعور إلى تقيضه حقاً ، ولكن بعد تمهيد وتدرج ، فإذا أردنا أن نتابع هذا التدرج بموسيقا الشعر فسنبكون بعيدين عن المنطق النفسي إذا كانت وسيلتنا هي الانتقال من بحر إلى آخر على هذا النحو الذي استحدثوه ثم هجروه .

إننا قد نستطيع مساوقة هذا التطور الشعوري بوساطة الشكل الجديد ، لأنه حركي متطور ، وليس ثابتاً ساكناً ، نحس فيه بأن كل كتلة منه مغلقة مقيدة ، ووسيلتنا إلى ذلك هي إعطاء الدفقة الكمّ الموسيقي الذي يكافئها تمام المكافأة ، والقافية التي تلائمها من الحروف الشديدة أو الرخوة ، المجهورة أو المهموسة ، وبهذا التلوين في الكم والقافية نعبّر عن الصدى الشعوري للموقف تعبيراً موسيقياً ، وبهذا تتآزر العناصر الشعرية في وحدة تذكرنا بوحدة التعبير العضوي الذي دعا إليها الفيلسوف الإيطالي بندتو كروتشي .

ولهذا الشعر الحر أسس عروضية عامة ، لس الذين تناولوه جانباً منها ، ولكنهم أغفلوا جانباً آخر هاماً منها ، ولا يسعني أن أبين ذلك إلا في ظل مثالين من الشعر الحر ، فلأبدأ بتقديمها وتحليلها تحليلاً عروضياً :

النموذج الأول من الشعر الحر ( بحر الكامل الحر )

« هجم التتار » للشاعر صلاح عبد الصبور

هَجَمَ التَّتَارُ ( متفاعلان )

ورموا مديقتنا العريقة بالدمار (متفاعلان متفاعلان متفاعلان)

رجمت كئائبنا مزقة وقد حسي النهار (متفاعلان متفاعلان متفاعلان متفاعلان)